

# سبّة و مليلية معقلان مغريان أماميان على البحر الأبيض المتوسط

(مقاومة و جهاد طوال خمسة قرون)

المولى سليمان

سلطان المغرب أكد للإمبراطور نابوليون الذي وعده  
بإرجاع سبّة و مليلية للمغرب إذا هو ساعده على تملك مدريد  
فأجابه بالرفض قائلا : « إن سبّة و مليلية هناك المغرب لابه من  
عودته إلى المغاربة » فاضطر نابوليون إلى الجلاء عن مدريد .  
و في عام (1271 / 1854) طلبت أمريكا من المغرب الإنحياز  
للدول المحايدة و الدخول في الحلف الروسي الأمريكي في حرب القرم Crimée  
مقابل إرجاع مليلية ثم سبّة للمغرب فرفض هذا العرض تضامنا مع الباب  
العاليا

سنة على سبّة (المغرب)

أخية مكة أو يثرب

مالك ابن المرحل المتوفي

عام (699 هـ)



- عنوان الكتاب : «سبته و مليية معقلان مغريبان أماميان على البحر الأبيض المتوسط».
- المؤلف : عبد العزيز بن عبد الله
- منشورات : نشر بمساهمة شركة كاب تور - الرباط- الهاتف : 73-57-09
- طبع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
- التصنيف و الإخراج الداخلي و الغلاف : أمبريال-الرباط - الهاتف : 76 61 65
- رقم الايداع القانوني : 96/352
- الرقم الدولي المعياري للكتب : ردمك : 9981-71-002-4

# الفهرست

- مقدمة ..... 3
- سببته عبد العصور ..... 16
- حوز سببته ومعالها ..... 18
- سببته في عصر القاضي عياض ..... 31
- سببته مع خلال رجالها ..... 35
- الاعلام السبتيون ..... 78
- العلم والعلماء ..... 86
- الولاة ..... 88
- الوضع الاقتصادي والاجتماعي ..... 91
- المراجع ..... 95
- مليلية او خمسة قرون من الجهاد ..... 109
- مليلية معالم وقبائل ..... 114
- الناصور ..... 117
- الجزر المتوسطة الواقعة على ساحل منطقة مليلية ..... 121
- المراجع ..... 127
- حياة المؤلف ونشاطه العلمي

## مقدمة

إن تاريخ سبته ومليلية اللتين لاتنفصل إحداهما عن الأخرى يرجع لعهد الفينيقيين الذين جعلوا منهما مرحلتين أوزلتين في مسارهم نحو السواحل الإفريقية في المحيط الاطلنطيكي وكان الإغريق يعتبرون (سبته) أحد هياكل هرقل وهي (أبيلا) Abyla المعروفة اليوم بجبل (هاشو Hacho) ونظرا لوجود الجبال السبعة المشرفة على الجزيرة الايبيرية وأطرافها المباشرة أطلق الرومان على سبته اسم (Septem fratres) في عام (240) قبل الميلاد حيث لجأ أسطول فينيقي طارده الرومان أما (مليلية) فهي على ما يقال (روسادير) -Rusa-dir الفينيقية التي احتلها الرومان عام (70م) فكان لها وزن اقتصادي في سواحل المتوسط إلى حد امتلاكها عملة خاصة بها وعندما ظهر (الوندال Vandales) الذين يرجع اليهم اسم الاندلس هاجم امبراطورهم (جنسريك Genséric) بثمانين ألف رجل كلاً من (سبته) عام (429م) ومليلية عام (430م) للقفز الى (عنابة) وتونس عام (439) ولم يكد يمر قرن واحد حتى هاجم الامبراطور (جوستينيان Justinien) الوندال عام (532م) لانتزاع (سبته) ومليلية منه ومعها جزر المتوسط وكلا مدينتي عنابة (بونة) وشرشل فأصبحت سبته عاصمة لموريطانيا الطنجية حوالي (582م) ومالبت الفيزيكيوط أن استولوا على المنطقة وأزاحوا عنها البيزنطيين واحتلوا (مليلية) عام (700م / 81 هـ) قبل ان يصل (موسى بن نصير) إليها عام (710م / 92 هـ) وقد عرفت الحاضرتان المغربيتان قرونا من الإزدهار الفكري والحضاري حللنا معطياته في شتى المجالي والمجالات لتتخلص الى العدوان الإيبيري على سواحلنا ومراسينا في كل من البحر المتوسط والمحيط.

إن احتلال المدينتين سبته ومليلية من طرف الاسبان أو البرتغال سبة في جبين أواخر القرن العشرين الذي تمت خلاله تصفية كل مظاهر الاحتلال في العالم المتمدن وقد أطل القرن الواحد والعشرون ومع ذلك فإن الاسبان لايزالون يراوغون ويختلقون الصيغ الموهبة لتبرير مواصلة الاحتلال مستنديين على هامش القانون الدولي العام - الى اتفاقيات سرية أو مصالح مشتركة مع دول أوربية وأخيرا إلى وضع جديد خلقته (الوحدة الأوربية) التي بدأت متعثرة نظرا للمفارقات الصارخة بين أعضائها وسنرى خلال هذا العرض المقتضب كيف أن الاسبان تذرعو - لحد الآن - طوال نحو من خمسة قرون - بشتى العوامل المهزوزة لدعم وجودهم في آخر

معقل لهم بالقارة الإفريقية وكانت مساومات بعض دول أوروبا بصدها مع المغرب ، لاتنطلق من حق المغرب بل من أفضليات في المصالح الخصوصية لهذه الدولة وأتلك ولعل هذه الدول التي ظل موقفها مطبوعا بنوع من المراوغة قد شجعها في الواقع خلل داخلي في المغرب قد يكون بعضه نتيجة دسائس خارجية وهو ثورة إقليم او انتفاضة قبائل ضد السلطان الشرعي المبايع كلما جد الجد في حصار سبتة أو مليلية مما كان يضطر السلطان الى القفز تواقا لمناطق الاضطراب فتتسل من المغرب حظوظ للتحرير وحتى رجال المقاومة الأشاوس - الذين يهبون من أقصى السوس - كما يقول طيراس - رغم عدم توفرهم على سلاح متكافئ مع عدة العدو- كانوا لا يكادون يصلون الى مرحلة قصوى في صراعهم من أجل تحرير المدينتين حتى يحدث هنا وهناك داخليا أو خارجيا ما يعرقل مساراتهم التحريرية ولنا خير نموذج لذلك في (حرب الستة أيام) في فلسطين حيث انطلقت من الخارج تحديات بل وتهديدات أوقفت الحركة بل رجعت بها الى الوراء فأصبحنا نفاوض على جزء قليل مما كان بين أيدينا قبل عام 1967 فالويل كل الويل لأصحاب الحقوق الهضيمة اليوم إذا هم لم يتعضوا بعبر التاريخ في رصانة وبعد نظر ووحدة صف.

## سبته عبر العصور

إن الزقاق أو البوغان هو عرض البحر الواقع ما بين (سبته) و (الجزيرة الخضراء) وتزعم بعض المصادر أن (الإسكندر) حفر ما بين (العدوتين) وبنى أول رصيف من الحجر على طول اثني عشر ميلا انطلاقا من (سبته) وقد تحدث (ابن سعيد المغربي) عن هذه القنطرة التي لايتوفر مايدل على وجودها عدا ظواهر جغرافية كالتقاء جبال اسبانبا بالريف وهي بارزة إلى الآن في وجهتها الطبيعية ومهما يكن فإن ما أكده (ابن خلدون) هو غلبة الروم والفرنجة والقوط على المنطقة مع انتشار البربر بالضواحي خارج الحدود الرومانية المعروفة (Limes) وقد احتل القرطاجيون قبل ذلك - (إلى عام 146 ق.م) أطراف المنطقة وظلوا متمسكين بمكاسبهم على طول الساحل الى حد أنهم أغرقوا في القرن الثالث قبل الميلاد جميع المراكب المارة بسبته حول ما يسمى بأساطين هرقل.

وقد غزا (طارق بن زياد) الأندلس متوجها (عام 92 هـ) من (سبته) إلى (الجزيرة الخضراء) مارا بالجبل الذي حمل اسمه وهو (جبل طارق) فوجد - حسب ابن خلدون - جنس القوط مستوليا على الأندلس منذ أربعة قرون خلت مع بسط نفوذهم على العدو الجنوبية يدين له فيها عاملهم على سبته (يوليان الغماري) الذي انطلق (موسى بن نصير) من (القيروان) لاستنزاله وامتلاك خليج الزقاق والالتحاق بطارق في الأندلس مرورا ب (جبل موسى) وبعد فترة تعاقب خلالها ولاة على المغرب والأندلس ولي عمر بن عبيد الله المرادي على طنجة وسبته عام (114 هـ) فأساء السيرة وحاول تخميس مسلمي البربر فنفرت منه القلوب وثار (ميسرة المضغري) الخارجي بأحواز طنجة حوالي (122 هـ) واستعرت الفتن في (سبته) بعد أن لجأ إليها من انهزم من جيوش الشام وعلى

رأسهم الوالي (كلثوم بن عياض) (حسب ابن حيان) فحاصرهم عسكر الخوارج من المسلمين الذين ثاروا ضد انحراف أهل الشام عن مبادئ الإسلام بالعمل على استنزافهم وأصبحت (سبته) منطلقا لتجمع العرب ضد البربر بالعدوتين معا وكان بلج بن بشر بن عياض (وهو ابن اخ كلثوم) قد اتخذ (سبته) مركزا استراتيجيا تبلورت فيه مظاهر الفتنة بين اليماني ومضمر على غرار ماكان يجري آنذاك بالأندلس واستمر الحال على هذا النسق إلى عام (127 هـ) حيث داخل الخلل الخلافة الاموية بالمشرق فاستحکم استقلال المغرب عن الشرق بظهور (صالح بن طريف البرغواطي) وكان (عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع) قد لجأ الى سبته من حيث انطلق لقطع دعوة الخوارج من افريقية إلى المحيط عام (135 هـ) وكان العباسيون قد استقروا بالشرق بعد انقراض بني أمية منذ عام (132 هـ) فالتحم (عبد الرحمن بن حبيب) مع (عبد الرحمن بن معاوية) وهو عبد الرحمن الداخل فقتل عام (137 هـ) واستولى عبد الرحمن الداخل في العام التالي على الأندلس.

وظل الخوارج يكافحون عقدين اثنين من السنين الى أن تقلص ظلهم عام (157 هـ) في منطقة الشمال وخاصة (سبته) مواصلين التحامهم مع العرب المشاركة ضمن (375) معركة - حسب ابن خلدون - وتعاقب على المغرب ولاة عباسيون الى أن برز الادارسة بالتحاق المولى إدريس الأكبر بوليلي عام (172 هـ) عن طريق طنجة قاعدة المغرب إذ ذاك وكانت منطقة غمارة بالريف من أول من بايعه من القبائل وبعدما ولي الأمر نجله المولى إدريس الأزهر عام (188 هـ) اتجه للقضاء على (الخوارج الصفرية) واقتطع المغربين الاقصى والوسط عن دعوة العباسيين وكان قد نقل عاصمته الى (فاس) وتوفي عام (213 هـ) فقسم ولي عهده المولى محمد (المغرب) بين اخوته (الإثني عشر) فاخصص (القاسم) بطنجة وسبته واستعرت الفتنة بين الإخوة فانتقلت المدينتان من قبضة (القاسم) إلى إمرة أخيه (عمر) مع باقي ساحل البحر الرومي واستمر نفوذ الأدارسة إلى أن انتزع (عبد الرحمن الناصر الأموي) صاحب الأندلس حاضرة سبته من يد (بني عصام) ولاة الأدارسة بها أوائل القرن الرابع الهجري حيث بايع عبد الرحمن الناصر الأمير الإدريسي أبو العيش (احمد بن القاسم كنون) الذي اضطر للتنازل عن طنجة فأصبحت المنطقة كلها في قبضة الأمويين عام (337 هـ) بإمرة (يعلى بن محمد اليفرنى) الذي قتله (جوهر الصقلي) قائد كتائب العبيد بين عام (349 هـ) وكان (الحسن بن كنون) أخو أبي العيش قد ولي الأمر فنكت بيعة الشيعة متمسكا بدعوة (الناصر) ثم ابنه (المستنصر) وأصبح المغرب في دوامة يتأرجح بين الأموية والعبديّة فهب قائد المستنصر محمد بن القاسم بن طلمس من الجزيرة الخضراء مارا بسبته للالتحام بالحسن بن كنون عام (362 هـ) بفحص (بني مصرخ) بأحواز طنجة فانهمزم الأمويون لاجئين إلى (سبته) ثم تعاقب الكر والفر فتحصن ابن كنون بقلعة (حجر النسر) قرب سبته ثم تنازل عنها بعد انهزامه أمام جيوش القائد (غالب الأموي) الذي نفى آل إدريس إلى العدة الشمالية ودخل المغرب في أرجوحة جديدة ضمن صراع بين (مغراوة) و(بني يفرن) ولكن سبته ظلت في قبضة الأمويين الذين مالبتوا أن أوقعوا عام (387 هـ) بقيادة مغراوة الذين انقضت دولتهم بظهور يوسف بن تاشفين وكانت (سبته) خلال فترة حكمهم طوال مائة سنة إحدى قواعدهم وعلى رأسها (الحاجب سكوت) البرغواطي عام (460 هـ).

